مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية

اسم المقال: تاريخ مشيخة الزبير النجدية بين تهميش المؤرخين وانتقائية المؤلفين: قراءة نقدية
اسم الكاتب: عبدالرحمن الإبراهيم
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/index.php/library/9155
تاريخ الاسترداد: 2026/11/01 19:03 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

جامعة الشارقة
UNIVERSITY OF SHARJAH

مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعلوم الإنسانية والاجتماعية



عدد B

المجلد 18، العدد 2
جمادى الأول 1443هـ / ديسمبر 2021م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

يونيو 2021م **مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية** المجلد 18 العدد 1 (A)
https//: doi.org/10.36394/jhss/18/2B/6

تاريخ مشيخة الزبير النجدية بين تهميش المؤرخين وانتقائية المؤلفين: قراءة نقدية

عبدالرحمن الإبراهيم (1)

تاريخ الاستلام: 05-02-2020 **تاريخ القبول: 21-04-2020**

ملخص البحث:

تاريخ مشيخة الزبير النجدية في جنوب العراق من التواريخ التي لم تعط حقها في البحث والتحليل من قبل المؤرخين.إن ما حدث في نجد فترة قيام الدولة السعودية الأولى ودعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب أسهم بشكل رئيس في نمو مشيخة الزبير وتشكل كيانها السياسي من خلال الهجرات التي توالت إليها من نجد.هذه الهجرات كانت شاملة جميع شرائح المجتمع النجدي فنجد على سبيل العلماء والأمراء والصناع والحرفيين من ضمن المهاجرين.هذا المقال يركز على ما تمت كتابته عن تاريخ الزبير ومحاولة تبيان مواطن الخلل فيه.بشكل دقيق يركز المقال على نقد مراجع ومصادر التاريخ الزبيري الذي كتبه المهاجرون النجديون أنفسهم من حيث تهميش هذه الكتب لبعض الأحداث الرئيسة أو المرور عليها دون تحليل عميق يوضح أهمية هذه المشيخة النجدية ودورها في الأحداث. انتقائية الأحداث كذلك لها نصيب في النقد إذ يحاول المقال تبيان الخلل المنهجي الذي انتهجه بعض من كتب تاريخ الزبير.كما أن المقال يركز على توضيح خلل طريقة كتابة بعض هذه المراجع وعدم ترابط عناوين الفصول والمواضيع فيها.أخيرا المقال يحاول لفت انتباها الباحثين إلى أهمية التاريخ المهمش في الخليج والجزيرة العربية ويدعوا للالتفات بصورة أعمق لمثل هذه التواريخ مما يساهم في تعميق التحليل التاريخي للروابط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين المشيخات التي كانت قائمة في تلك الفترة.

الكلمات الدالة: نجد، الكويت، الزبير، الدولة السعودية الأولى، الدعوة الوهابية، دراسات الخليج.

(1) جامعة اكستر (اكستر - المملكة المتحدة)

alibrahem_a@hotmail.com

المقدمة:

هناك جوانب وزوايا في تاريخ الخليج والجزيرة العربية لم تعط حقها من البحث العلمي.منها تاريخ المشيخات والبيوتات التي كانت ذات رئاسة ثم بادت واندثرت قبل قيام الدول القطرية المعاصرة في الخليج والجزيرة العربية.من هذه المشيخات، مشيخة الزبير النجدية في جنوب العراق، التي لم تعط حقها التاريخي في التحليل والنقد، فعلى الرغم من دورها الاقتصادي والسياسي إلا أن وجودها تحت تنظيم الدولة العثمانية، ووجود قوى أكبر منها في ذات الإقليم الجغرافي؛ كإمارة المنتفق (1530 م - 1918 م) هي دولة كانت تشمل معظم مناطق وقبائل وعشائر جنوب ووسط العراق حضر وبادية، سنة وشيعة قد قلل من الجهود البحثية الجادة التي سلطت الضوء على هذه المشيخة.

ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في عدم نفض الغبار عن تاريخ هذه المشيخة النجدية: هجرة أهلها منها وعودتهم لموطنهم الأصلي في نجد، أو الكويت بعد قيام الجمهورية العراقية وقيام الدولة السعودية.

إن تاريخ هذه المشيخة لا يصنف من التاريخ الهامشي؛ لأن وجودها وأثرها في التاريخ كان ولا يزال حاضراً، والأرشيف النجدي والعثماني والبريطاني؛ يشهدون بذلك.فمثل هذا التاريخ هو تاريخ مهمش من قبل المؤرخين الخليجيين أنفسهم، على الرغم من وجود المادة العلمية والأدوات البحثية التي تساعد المؤرخ على سبر جوانبه، والربط بين تاريخ هذه المشيخة، وبقية المشيخات الخليجية.

ولعل من أبرز العوامل التي دفعت المؤرخين الخليجيين لتهميش تاريخ مشيخة الزبير؛ كان ولا يزال العامل السياسي، ومنها العلاقة المتوترة بين العراق منذ نشأته، ودول الخليج بشكل عام، والمملكة العربية السعودية والكويت بشكل خاص نفر المؤرخين من الكتابة فيه كتابة أكاديمية تحليلية.

إن ما سبق عرضه لا ينفي وجود كتابات في تاريخ مشيخة الزبير بلا شك، لكن هذه الكتابات في مجملها سردية لم تستفد من المتاح في الزمان من وثائق، ومخطوطات، وشهادات شفهية؛ واكتفت بالكتابة على مزايا ومحاسن ذلك الجيل الذي خرج من نجد، وأسس مشيخة الزبير ولم يتطرق إلا على استحياء للروابط الجغرافية السياسية، والعرقية وكذلك الجوانب الثقافية والدينية.

هذا المقال يعنى بشكل رئيس في نقد وتحليل مصادر ومراجع التاريخ الزبيري الذي كتبه أبناء الزبير الذين ولدوا وعاشوا في الزبير في زمن المشيخة أو بعد ذلك سواء كانوا من أصول نجدية، أم غير ذلك، كما أن المقال سيناقش ويقارن فقط الكتب التي كان

سبب تأليفها؛ التأريخ لتاريخ مشيخة الزبير النجدية.بلا شك نجد أن كتب التواريخ النجدية، الكويتية، والعراقية -البصرية منها خصوصا- ناقشت في جوانب منها تاريخ مشيخة الزبير أنفسهم وروابطها؛ لكن هذا المقال لن يتطرق لهذه الكتب، بل ستكون هذه المصادر جزءاً لا يتجزأ من نقد مضمون التاريخ الزبيري.

أخيراً هذا المقال ينقسم إلى قسمين رئيسيين: الأول في كيفية تعامل ما كُتب عن مشيخة الزبير مع المخطوطات والوثائق والمراجع، أما القسم الثاني؛ فيناقش عدم ترابط أفكار هذه الكتب، والانتقائية لبعض الأحداث والتراجم ويدلل عليها.

1. أهمية تاريخ الزبير في حقل الدراسات الخليجية

لمشيخة الزبير النجدية أهمية في حقل الدراسات التاريخية للخليج، والجزيرة العربية، إلا أن معظم الدراسات كانت تتناول هذه المشيخة على أساس أنها تابعة للبصرة أكثر من كونها مشيخة لها استقلال سياسي، وثقافي، واجتماعي بصورة، أو بأخرى.

وهناك دراسات أخرى، والتي يعتني هذا البحث بها، كتبت تاريخ هذه المشيخة على أنها مشيخة تُعنى بذاتها في الغالب، وكأن أثرها واستقلالها هو استقلال داخلي، وأن علاقتها الجغرافية والسياسية في التكوينات الموجودة حولها ضعيفة، أو غير مهمة.

وللتوضيح؛ فإن هذا المقال لا يعنى بإثبات مدى استقلالية، أو تبعية مشيخة الزبير عن ولاية البصرة، بقدر ما يهمه نقد مصادر تاريخ هذه المشيخة، لكن من الضرورة إيضاح نقطة مهمة؛ وهي وجود ذكر لمشيخة الزبير أو بلدة الزبير في مصادر التاريخ البصري بشكل عرضي أو في أحيان أخرى بشكل كبير.مثال ذلك البصرة في أدوارها التاريخية للشيخ عبد القادر باش أعيان (العباسي، 1961) أو البصرة العظمى لسليمان (فيضي، 1965)، كذلك كتاب مختصر تاريخ البصرة تأليف عليّ ظريف (الأعظمي، 1927).

ومن الكتب الذي ذكرت الزبير بشكل عرَضي؛ كتاب تاريخ البصرة القديمة وضواحيها لمحمد رؤوف السيد طه (الشيخلي، 1972)، وكتاب التحفة النبهانية لمحمد (النبهاني، 1980) أما في القسم المتعلق بالبصرة، فقد كان للزبير ذكر فيه كذلك، وأخيرا ريدر (فسر Visser، 2008) والكتاب المترجم البصرة وحلم الجمهورية الخليجية.

هذا المقال لا يقصد جمع كل ما كتب عن تاريخ الزبير ضمن تاريخ البصرة؛ إنما يشير لبعض هذه الكتب، فهناك كتب أخرى ذكرت مشيخة الزبير من خلال أحداث وقعت في البصرة، أو بقربها، أو أسهم فيها زبيريون.مثل (السعدون، 2006) و (العجلي، 1948) وأخيرا (الخالدي، 2014).

لقد برزت أهمية الزبير السياسية، والثقافية والاجتماعية منذ القرن الثامن عشر الميلادي، وذلك بعد قيام الدولة السعودية الأولى في نجد ونماء حركة أيدولوجية دينية جديدة هناك عُرفت في بعض الكتب التاريخية بالحركة «الوهابية»، وهذا الكيان السياسي الجديد كان نواة حقيقية لهجرة العديد من أهل نجد لشمال الجزيرة العربية وكانت الزبير أحد الوجهات الرئيسة لهذه الهجرات.

لقد شملت هذه الهجرات جميع فئات المجتمع التي كانت تسكن نجد من أمراء للمدن النجدية وعلماء دين وتجار وأصحاب حرف وتابعين، ومما يؤكد ذلك ما ذكرته المصادر الزبيرية فيما بعد؛ من أن بداية قيام المشيخة بشكلها المؤسسي قد كان في عهد يحيى الزهير عام 1797 ميلادي تقريبا؛ مع التنبه إلى وجود نوع من أنواع الحكم المستقل قبل وصول الزهير للحكم في الزبير إذا ما أخذنا بعين الاعتبار قيام الدولة السعودية الأولى عام 1744 ميلادي وبداية سيطرتها على المدن النجدية القريبة من الدرعية في منتصف القرن الثامن عشر.

فعلى سبيل المثال تذكر المصادر النجدية الهجرات التي كانت السبب في الصراعات السياسية بين تحالف ابن سعود، وابن عبد الوهاب، ورؤساء المدن النجدية، وكذلك الهجرة بسبب القحط، والعوامل المناخية، وسأكتفي هنا بذكر حادثتين؛ الأولى: ما حدث لسكان مدينة حرمة وهي من المدن النجدية التي قاومت بشكل كبير تحالف الدرعية، أو ما يعرف بالدولة السعودية الأولى دينياً وسياسياً في عام 1779 ميلادي تقريبا وهاجر أهلها بشكل جماعي ناحية الزبير، كما ذكرت المصادر النجدية مثل (ابن غنام، 2010)، والفاخري الذي يروي ما نصه: « وفي سنة 1193 هجرية سار سعود إلى حرمة؛ فأخذها وقتل في الوقعة عبدالله بن حسن، وعياله، وقبلهم مدلج المعيي وغيره، وجلا بعض أهلها إلى الزبير» (1999، ص147).

أما الحادثة الثانية: فعندما حل القحط في نجد عام 1722 ميلادي كما تذكر المصادر النجدية مثل: (الفاخري، 1999) الذي وصف القحط بأنه قحط عام وفي سدير كان شديدا جدا؛ لدرجة موت الأغنام، والإبل، وكذلك يصف كيف غارت الآبار فلم يبق في العطار من قرى سدير، سوى بئرين يشرب منهما الناس، وقد جلا الكثير من أهل نجد عموماً، إلى شمال الجزيرة العربية والإحساء.

هذه الهجرات التي اتجهت للزبير بشكل خاص ولغيرها من المشيخات كالكويت بشكل عام كانت هجرات نوعية فيها أمراء لمدن سلبت الدولة السعودية الناشئة آنذاك سلطتهم كما رافق هذه الهجرات هجرة رأس المال والأيدي العاملة للزبير.حافظ هؤلاء المهاجرون على كثير من عاداتهم وتقاليدهم التي نقلوها معهم من نجد حتى أننا نجد وصفا لهم في

(مجلة لغة العرب) في العقد الثاني من القرن العشرين إذ تصف المجلة مشيخة الزبير حتى بعد سقوطها «...كانت إدارتها على قواعد المشيخة وهي نظام بسيط وإدارة عربية تجرى بالعادات أكثر مما تجرى بالقوانين...كذلك هي منحازة في أخلاقها وإدارتها وعاداتها ولم تلوثها المدنية الجديدة بأدناسها...فهذه القصبة سلفية وأهلها سلفيون وكأن السلف العربي ماثلٌ بجميع أطواره فيها...» (1928، جزء 4، ص276)

لقد نهضت الزبير كمشيخة، وازدهرت من الناحية الثقافية؛ بسبب هجرة العلماء الذين لهم وزنهم العلمي، بعد قيام الدولة السعودية الأولى، مثل ذلك: هجرة الشيخ محمد بن عبد الله بن فيروز، وهو حنبلي هاجر من الأحساء إلى البصرة بعد قيام الدولة السعودية الأولى، ويعتبر الشيخ ابن فيروز من أكبر علماء الشريعة في الجزيرة العربية في تلك الحقبة، بل لا يعرف أحد أكثر شهرة منه. (ابن حميد، 1996).

أما المثال الثاني على هجرة العلماء؛ فقد كان متمثلا في الشيخ محمد بن علي بن سلوم وهو حنبلي، هاجر من نجد إلى الزبير، وكان ابن سلوم قد سكن في الزبير وتولى التدريس فيها وهو أحد تلاميذ الشيخ محمد بن فيروز. (الصانع، العلي، ج3، 1985)

لم يكن المهاجرون إلى الزبير وجنوب العراق من الحنابلة الذين هاجروا؛ بسبب الاختلاف مع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقط؛ بل كان هناك علماء من غير الحنابلة من مثل الشيخ عثمان بن سند، وهو نجدي الأصل، كويتي المولد وهو من أولئك الذين سكنوا الزبير والبصرة، -وكان على المذهب المالكي- وقد برع عثمان بن سند في الكثير من العلوم، وله أكثر من ثمانٍ وعشرين مؤلفاً وكان من المعادين للدعوة الوهابية في نجد كحال معظم المهاجرين من العلماء في زمانه. (الرومي، 1999)

وحين نعرض للشيخ عبد الجليل الطبطبائي نجد أنه قد كان شافعي المذهب.وقد ولد الطبطبائي في البصرة، ثم هاجر للزبارة في قطر، ثم عاد للبصرة مرة أخرى، وهاجر بعد ذلك من البصرة إلى الكويت، وكان عبد الجليل الطبطبائي أحد تلاميذ محمد بن فيروز كذلك. (الرومي، 1999) ولعل أهم ما كان يجمع هؤلاء العلماء؛ معارضتهم لآل سعود، والدعوة الوهابية عند قيام الدولة السعودية الأولى، ومعظم هؤلاء قد درس في حواضر العلم في زمانهم.

إن الهجرات المتتالية من نجد للزبير ولمختلف الأسباب ساهمت بشكل كبير في تأسيس مشيخة تتماثل في شكلها التنظيمي مع البلدات النجدية ومشيخات الساحل خصوصا.فمشيخة الزبير مثلا لا يحكمها إلا رجل من أهلها لكن طريقة الحكم كانت مختلفة وتخضع لعوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية وهذا ما ميز هذه المشيخة عن غيرها من مشيخات الخليج العربي.

الصلات الاجتماعية والسياسية والثقافية بين الكويت والزبير وبين الزبير والإحساء وكذلك بين الزبير ونجد كانت موجودة ولها تأثير قوي وكبير نذكر على سبيل المثال لا الحصر الصلات الثقافية بين مشيخة الزبير ومشيخة الكويت وأثر علماء الزبير على علماء الكويت مثل: الشيخ محمد بن فارس المتوفى سنة 1908 حيث درس ابن فارس في الزبير على يد الشيخ إبراهيم بن جديد وعلى يد الشيخ عبد الجليل الطبطبائي.

أما الشيخ عبد الله بن خلف الدحيان -وهو من علماء الكويت- فكان يمتلك كتب الشيخ محمد بن فيروز في الحساب، وفي الفقه، وكان بينه وبين الشيخ عبد الله بن عوجان من علماء الزبير، وهو تلميذ الشيخ إبراهيم بن جديد؛ مودة ومذاكرة، كما أنه درس على يد الشيخ محمد بن حمد الهديبي من علماء الزبير أيضا. (الرومي، 1999)

أما المثال الثالث: فهو لعالم كويتي، درس في الزبير إنه الشيخ عبد العزيز الرشيد البداح)، وقد تتلمذ الرشيد على يد الشيخ عبد الله الخلف الدحيان ثم ذهب للزبير؛ ليدرس على الشيخ ابن عوجان.

كان هذا جانبا عن دور مشيخة الزبير من الناحية الثقافية ذات الصلة بتاريخ الخليج والجزيرة العربية بشكل عام، فتاريخ هذه المشيخة يعتبر أحد الروافد المهمة لفهم الصورة الأكبر لتاريخ الخليج، وكذلك فهم الروابط بين هذه التواريخ، وعلى وجه الخصوص؛ التاريخ الكويتي، النجدي، الإحسائي والدولة العثمانية، ومن بعدها الملكية الهاشمية، وأخيرا الجمهورية العراقية.

2. وثائق ومخطوطات تحت الركام: التعامل مع مصادر التاريخ الزبيري في الميزان

لقد أشرت في المقدمة إلى أن هذا المقال معني بتاريخ الزبير، والتي كتبها أهل الزبير أنفسهم، ولذا ففي هذا الجزء سيكون التركيز منصباً على مخطوطات الزبيريين وبخاصة؛ ما كتبه عبد الله بن إبراهيم الغملاس ومحمد بن حمد العسافي في تاريخ الزبير، وما يتعلق به؛ كالشعر، والنسب، والتراجم، لكن لا يستقيم الحديث عن تاريخ الزبير دون الإشارة لمصادر التاريخ النجدي على وجه الخصوص، وكان السبب وراء ذلك الترابط بين البقعتين الجغرافيتين، كما أن مخطوطات التاريخ الزبيري نقلت بعض الأحداث من مصادر التاريخ النجدي.والسابر لمصادر التاريخ النجدي القديم، خصوصا ما كتبه ابن غنام وابن بشر حيث يجد فيه إشارات عديدة للزبير، وأحداث مشيختها أو للمهاجرين بسبب القحط ومحاربة الدولة السعودية الأولى والأحداث السياسية التي كانت تدور في نجد وربما شذرات أخبار هنا، وهناك عن رحلة عالم أو طالب علم للزبير والاستفادة من الفقهاء فيها بعد قيام المشيخة.

إن المتتبع للكتب التي أرَّخت لمشيخة الزبير ابتداء من كتاب يوسف البسام الزبير قبل خمسين عاما مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت، مرورا بالأجزاء الأربعة من كتاب إمارة الزبير بين هجرتين لـ (الصانع، العلي، 1985) وكذلك كتاب علي (أبا حسين، 2009) لمحة من تاريخ مدينة الزبير تراجم ووثائق، وأخيراً وليس آخراً كتاب عبدالعزيز (الناصر، 2010) الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي ثم أحدث الكتب الصادرة عن تاريخ الزبير لـعبداللطيف (الحميدان، 2019) بعنوان تاريخ مشيخة الزبير النجدية من النشوء إلى السقوط من يتتبع هذه الكتب يجد أنها تشترك في انتقائية الحدث التاريخي من الوثائق والمخطوطات الزبيرية تحديداً وتهميش بعض الأحداث.وفي هذا الجزء سيكون التركيز على جانبيين أغفلهما من ذكرنا ممن أرخ لمشيخة الزبير مع التركيز الأكبر على أحدث الكتب الصادرة وهو كتاب عبد اللطيف الحميدان تاريخ مشيخة الزبير النجدية من النشوء إلى السقوط لكونه لم يتدارك كثيرا ما أغفله من سبقه وكذلك لكون عبداللطيف الحميدان أكاديميا يدرك أهمية المنهج في الكتابة ولديه اطلاع أشمل وأوسع على الوثائق العثمانية تحديدا كما أشار هو في الكتاب.

1.2 الحياة السياسية في مشيخة الزبير بين حساسية النشر وانتقاء الأحداث

مما لا شك فيه أن الأحداث السياسية التي مرت بمشيخة الزبير كانت حافلة، خصوصا وأن حكم البلدة لم يستقر لأسرة واحدة منذ نشأة المشيخة حتى سقوطها، كما أن عدم الاستقرار السياسي في المشيخة؛ قاد للكثير من الاختلاف في سرد الأحداث التاريخية، أما فيما يتعلق بقضية الحكم، فنجد أن كل الكتب التي صدرت عن مشيخة الزبير منذ سبعينيات القرن الماضي اشتركت في مسألة نقاش الحياة السياسية والانتقال غير السلس للسلطة بين الأسر المتنافسة على الحكم هنا.

هنا يجب التوضيح بأن كلا من الحميدان وأبا حسين وكلاهما أكاديمي؛ لم يحسنا استخدام الوثائق الأهلية، والمخطوطات، على الرغم من توفرها، ومثال ذلك ما ذكره الحميدان في كتابه حول الصراع السياسي في الزبير بين المتطلعين للحكم، فلم يفصل، ولم يقارن بين ما ذكر في المخطوطات التي استخدمها، وكان على دراية بها، كما أشار في قائمة المصادر والمراجع وبين آرائه التحليلية التي اعتمدت في الكثير من الأحيان على الوثائق العثمانية.

والهدف من وراء هذه النقطة ليس لتغليب رأي على آخر فيما يتعلق بالتحليل السياسي لما وقع في المشيخة، بقدر ما هو تبيان أنه على المؤرخ واجب المقارنة، وذكر وجهات النظر المختلفة، وعدم حجبها عن القارئ، ومن ثم إصدار حكمه.

من المعروف أن أثر أسرة الزهير في التاريخ الزبيري السياسي يشكل ركنا رئيسيا؛ فهم أكثر من حكم هذه المشيخة النجدية في العراق، لكن عدم إيضاح أسباب اختيار الأحداث، والحديث عن أسرة الزهير بشكل مسهب أكثر من الثاقب على سبيل المثال، رغم تزامن حكم الأسرتين في فترة البحث أمر جدير بإعادة النظر. (الحميدان، 2019)

كذلك يضع (الحميدان، 2019، ص83) أسرة الزهير في موضع المتحكم في الأحداث خلال الفصل الثالث من كتابه مثلا، مثل قوله: «...وكان يتولى مشيختها أحمد المشاري وكيلا عن عبد اللطيف الزهير...» ويضع مصدر هذه المعلومة، وهي مخطوطة العسافي، ولكن لم يفسر الحميدان لماذا استمرت مشيخة أحمد المشاري عشر سنوات؟ ولِمَ لَمْ يتولَ أحد من الزهير الحكم بدلاً عنه بما أنه كان وكيلا عنهم والأحداث السياسية تغيرت خلال هذه السنوات العشر؟

مثال آخر ذكر (الحميدان، 2019) من خلاله العلاقة بين أسرتين من أسر حريملاء الراشد والزهير وصور في بعض الأحيان تبعية أسرة الراشد للزهير؛ معتمدا على ما ذكره ابن بشر في أحداث سنة 1241، وقد تولي ناصر بن ناصر الراشد مشيخة الزبير؛ لعدم تمكن علي بن يوسف الزهير ذلك اذ يقول (ابن بشر، نسخة أ، 1983، ص51) : «... فلما توفي -أي: يوسف الزهير- خلف أولادا أكبرهم اسمه علي، فقام يحاول طلب الرئاسة؛ فاقتضى رأيه أن يجعل ناصرا هذا أميرا لأنه وعشيرته من أعوانه والقول والتدبير له...».

فلماذا لم يتمكن عليّ الزهير من الوصول للحكم؟ ولماذا يذكر البسام في التحفة أنه بعد مقتل ناصر بن ناصر الراشد صار لعلي بن يوسف الزهير صيت؟ هل لم يكن له ذلك الصيت؟ أم أن الصيت كان لأسرته؟ أم لأبيه؟ لم يفسر لنا الحميدان ذلك، ولم يقارن بين المصادر التاريخية؟ هل أغفلت المصادر التي اطلع عليها ذلك؟

وفي قضية الصراع بين هاتين الأسرتين، نجد الحميدان في بعض الأحيان يصور تبعية الراشد للزهير.فهل كان هذا أول قدومهم من نجد؟ أم أنه على مدار تاريخ مشيخة الزبير؟

ولكن لم يفسر أو يربط بين قول عبد الله (الغملاس، 2005، ص71-70) في مخطوطته حين الحديث عن العداء بين عبد الله الراشد وإبراهيم الزهير حين قال: «...وقع الصلح بين الحاج عبد الله الإبراهيم وإبراهيم الزهير في بيت الشيخ راشد....فلم يزل إبراهيم الزهير يحرك الشر مدد] مدة[...وراقت الأمور لكن إبراهيم الزهير حقود نكود، على الحركات يدور فلم يحرك إلى سنة 1314 حين شيخوا عبد الله البطاح وعادى عبد الله الإبراهيم وأذى اتباعه...» فهل تبدل المراحل التاريخية غيرت العلاقة بين هاتين الأسرتين؟ تساؤلات كثيرة تمر في ذهن القارئ خلال تحليل الحميدان للأحداث السياسية والعلاقات الاجتماعية

لم يجب الحميدان عليها خصوصا مع مقارنة تحليله مع ما كتبه غيره من المهتمين بتاريخ الزبير.

يواصل (الحميدان، 2019) عدم الوضوح خلال تحليله للأحداث، ويضيف في بعض الأحيان تحليلا تحت عنوان: هجوم طالب على الزبير والتنكيل بأهلها؛ إذ يذكر أن طالب باشا النقيب قد أقنع والي البصرة بأن إقرار الأمن لن يتم دون محاسبة عجمي باشا السعدون على ما قام به من تحد للدولة العثمانية، وكذلك محاسبة أنصاره الكثر في مدينة الزبير، ثم يضيف (الحميدان، 2019) : أنه في 22 رجب 1332 هجري حشد طالب باشا النقيب أتباعه من قرى جنوب البصرة، مع قوة عثمانية، ومجموعة من الزبيريين عبدالكريم المشري، وموسى الفارس، وعثمان المخضب، وإبراهيم الراشد واصطدمت هذه القوة بأهل الزبير، إلا أن العلماء قد أوقفوا إراقة الدماء بعد اقناع عجمي السعدون، ومحمد العصيمي، وعبدالله المشري بضرورة الانسحاب من الزبير.

يعتمد الحميدان فيما ذكر على كتاب خالد حمود السعدون والمعنون بالأوضاع القبلية في البصرة كما ذكر في الهامش، وبعد الرجوع إلى كتاب السعدون نجد أن فيه نوعا ما اختلافاً في الرواية المذكورة إذ يقول (السعدون، 2006، ص251) : «...ففي ليلة العشرين من رجب 1332 هجري سمع في المدينة] البصرة [إطلاق نار كثيف.وقد فسرت السلطات الرسمية الأمر بالقول بأن جمعا يضم ما بين ستين وثمانين رجلا من المنتفق قدموا من ناحية الزبير بقصد اقتحام المدينة...وقد بادرت السلطات في اليوم التالي بالرد على ذلك الهجوم؛ فأرسلت عددا قليلا من القوات الحكومية إلى الزبير، ولكن تلك القوات هوجمت...» نعم، يذكر خالد السعدون بعد ذلك قضية إرسال 600 جندي، لكننا لا نجد قضية توسط العلماء، ولا أسماء الزبيريين الذين ذكرهم الحميدان في الصفحات التي أشار لها في الهامش في كتاب خالد السعدون.

بعد التدقيق على الحدث نجد (الغملاس، 2005) يذكر قدوم عبد الكريم المشري وموسى الفارس وعثمان المخضب إلى الزبير سنة 1331 هجري ثم في سنة 1332 هجري دخل مع العسكر إبراهيم الراشد وكريم وموسى الفارس.

أما السؤال الذي يطرح نفسه في هذه القضية، فهو لماذا لم يحاول الحميدان المقارنة بين الروايات الموجودة، واعتمد فقط على رواية السعدون التي تعتمد في الأصل على وثائق من الأرشيف البريطاني، ويترك رواية الغملاس المعاصر؟ ولماذا لم يشرح لنا قول (الغملاس، 2005، ص157) عن محمد العصيمي والمشري مثلا خلال هذه الحادثة: «... شرد العصيمي وال مشري إلى البر...» رغم اطلاعه على المصدر والإشارة له في ذات الصفحة؟ وكيف يحلل ما ذكره يوسف (البسام، 1971) في كتابه الزبير قبل خمسين عام

من حصول سوء تفاهم بين ال مشري الأمر الذي دفع بعبد الكريم المشري للسكن في البصرة ومساندة طالب النقيب.

إن التعميم الذي ضمنه الحميدان في كتابه، يمكن أن يكون أكثر دقه لو شرح الفوارق بين الفترات الزمنية، خصوصا وأنها متباعدة، بمعنى أن ما حدث في العقد الأول من القرن الحادي عشر الهجري بين أسرتين ليس بالضرورة البناء عليه فيما يحدث في ذات العقد من القرن الثالث عشر الهجري وكذلك تغير الواقع السياسي، والاجتماعي في مشيخة الزبير، وفي المحيط من حولها بلا شك كان له أثر والزاوية التي يتم التحليل بها كذلك لها دور فالانتقال بين المصادر والمراجع لإثبات فكرة معينة قد يؤدي للتناقض فيما يكتبه المؤلف.

ونجد في كتابات معاصرة أخرى عن تاريخ الزبير موضع البحث وعند (أبا حسين، 2009، ص8) تحديدا في كتابه لمحة من تاريخ مدينة الزبير تراجم ووثائق يعرف نفسه في مقدمة الكتاب؛ بأنه «مدير مركز الوثائق التاريخية بمملكة البحرين»، وفي ذات الوقت يستخدم الوثائق، بل ويضع لها فهرسا من تسع ورقات في نهاية الكتاب، كما أضاف في ملاحق الكتاب عنوانا جانبيا أسماه تنزيل الرحمات على من مات من أهل الزبير، وقد ذكر أن مصدر هذا الملحق من مخطوط الغملاس التذكرة والعبرة.

وفي مقابل ذلك، وعلى الرغم من إدراك (أبا حسين، 2009) لقيمة الوثيقة التاريخية، لم يدخلها في النقاش والتحليل، وإنما اكتفى بتبييضها، ونسخها في الكتاب، ونأخذ مثالا ليتضح المقال؛ فأحد فصول الكتاب كان عنوانه: التحقيق في تاريخ أو توقيت حروب الملك عبد العزيز لتوحيد الجزيرة العربية بمقارنة المصادر المطبوعة بالوثائق المخطوطة، وهو فصل مفيد مليء بالكثير من التحليل.

بيد أن الإشكالية المنهجية هنا؛ أن أبا حسين لم يوضح لنا في كتابه، ما هي علاقة حروب الملك عبد العزيز وتوحيد الجزيرة في مدينة الزبير التي وضعها عنوانا لكتابه؟

أيضاً على الرغم من العنوان الجاذب، فلا يوجد ذكر للزبير في الأربع عشرة ورقة التي ناقش فيها (أبا حسين، 2009) مقارنة المطبوع بالمخطوط، فلماذا كانت هذه الورقات ضمن كتاب عنوانه مدينة الزبير؟ هل للوثيقة التي وضع صورة عنها دور وهي التي تذكر عبد اللطيف المنديل كونه من وجهاء الزبير، ووكيل للملك عبد العزيز؟ أم أن هناك ارتباطا بين تاريخ الإحساء والبحرين والزبير؟ هل لكون الإحساء كانت تحت النفوذ العثماني وسقوط هذا النفوذ على يد الملك عبد العزيز سيكون له انعكاس على مشيخة الزبير؟ كل هذه التساؤلات وغيرها مشروعة، لم يجب عليها أبا حسين في كتابه، ولكنها تفتح في عقولنا بابا من التساؤلات.

تعتبر مسألة سقوط مشيخة الزبير من المسائل الرئيسة في تاريخ الزبير السياسي التي تجاوزها كل من كتب عن تاريخ هذه المشيخة من أهلها، والمراد بتجاوز المسألة؛ أي: عدم تحليلها، وإيضاح كيف سقطت هذه المشيخة، والوقوف عند تفاصيلها فنهاية المشيخة لم تشمل تحليلا عميقا عند الصانع والعلي وكذلك الحميدان بينما لم يتطرق لها بشكل أساسي أبا حسين.

يذكر مؤلفا كتاب إمارة الزبير (الصانع والعلي، 1985) نقلا عن رواية محمد الحمد الشبيلي وهو معاصر للأحداث أن الشاعر سالم الحميد ذهب مع الشيخ إبراهيم الراشد لبغداد بعد تأسيس الحكومة العراقية، وإصرار الإنجليز على عزله، وتعيينه بمنصب متصرف، بينما هو مُصِرٌّ على المشيخة، حتى أن سالم الحميد نصحه بتركها بحسب هذه الرواية، بعد أن بذل له الإنجليز الأموال، لكن الشيخ إبراهيم الراشد غضب من هذا الاقتراح. ويؤيد رواية إكراه الإنجليز الشيخ إبراهيم الراشد على التنازل عن المشيخة وعزله كل من يوسف (البسام، 1971) ومحمد (النبهاني، 1980).

ويؤيد (الحميدان، 2019، ص187) هذه الفكرة في معرض حديثه عن الحركة الانفصالية في البصرة ومن عارضها، وذلك حين ذكر في مؤَلَفه قوله: «يرى الشيخ إبراهيم الراشد أن يكون للزبير كيان مستقل تماما عن إدارة البصرة، وخصوصا أن المشيخة كانت مستقلة طوال العهد العثماني وسنوات الحرب...».

بينما يرى عبد العزيز (الناصر، 2010) وهو الذي ينقل عن حسين الشيخ خزعل أن: الشيخ إبراهيم الراشد -آخر شيوخ الزبير- رفض العرض البريطاني بالاستقلال بالمشيخة، عندما طلب منه البريطانيون ذلك وقام بالتنازل عن المشيخة للحكومة العراقية.

يشترك جميع المؤلفين بعدم اعتمادهم على الوثائق البريطانية عند حديثهم عن أسباب سقوط المشيخة، وهو أمر مستغرب؛ خصوصا وأن هذه الوثائق متوفرة بشكل سهل، وخصوصا في زماننا هذا، لذا سيتركز النقد هنا على رأي الحميدان لكونه كتب أحدث كتاب عن مشيخة الزبير واشتمل عنوان الكتاب فيه كلمة «السقوط»، أما السبب الثاني: فهو أنه قد يُعذر من كتب في سبعينيات القرن الماضي، وثمانينياته حين نجده لا يستخدم الوثائق البريطانية؛ لكونه لا يجيد اللغة الإنجليزية، أو لا يقدر على السفر، وتحمل تكاليفه في تلك الفترة لزيارة الأرشيف، أما الحميدان فكان واعيا لأهمية الوثائق؛ إذ أن قائمة المصادر مليئة بالوثائق العثمانية، كما أنه مجيد للغة الإنجليزية؛ إذ حصل على الدكتوراه من جامعة مانشستر.

ويذكر (الحميدان، 2019) أن إبراهيم الراشد آخر شيوخ الزبير قد ساعد البريطانيين في معركة الشعيبة التي حصلت بالقرب من الزبير بين الإنجليز والعثمانيين وقدم لهم

مساعدات استخباراتية ولوجستية، وكذلك أطلق البريطانيون الحرية له لتقوية نفوذ شيخ الظفير على القبائل التي تضمر الكره لشيوخ المنتفق واستخدام هذه القبائل نقطة اتصال مع القوات المحتلة.

يعتمد (الحميدان، 2019) على كتاب فسر Visser ليصور أن إبراهيم الراشد كان موالياً للبريطانيين بشكل تام، لكن بعد العودة لكتاب فسر Visser؛ لا نجد دقة في نقل المعلومة حيث إنه فيما يتعلق بقضية المساعدة في معركة الشعيبة لم نجد في الصفحة التي أشار لها الحميدان في الهامش أثرا لهذه المعلومة، بل نجد الحديث عن السيد طالب النقيب وأحمد الصانع وعبداللطيف المنديل. (فسر، 2008 ،Visser) أما فيما يتعلق في قضية الشيخ إبراهيم الراشد وقبيلة الظفير فنجد هذه المعلومة موجودة عند فسر Visser بناء على معلومة من الأرشيف البريطاني ولم يفسر لنا الحميدان لماذا قبيلة الظفير تضمر الكره للمنتفق؟ هل بسبب ولاء احدى القبيلتين للعثمانيين أم لتنافس على المرعى أم ماذا بالضبط؟

وفي هذا الجزء من كتاب فسر Visser؛ نجد أن هناك ذكرا لمعركة الشعيبة، إذ يقول (فسر، 2008 ،Visser، ص142) : «...ورفض الشيخ إبراهيم، شيخ الزبير، الانضمام إلى أحد الجانبين في القتال، لكنه زود البريطانيين بمعلومات استخباراتية عن تحركات القطعات العثمانية...». وقضية عدم مساعدة شيخ الزبير للإنجليز في معركة الشعيبة يتوافق مع ما ذكره (الغملاس، 2005) مثلا عن قتال محمد وفهد اخويي الشيخ إبراهيم الراشد حيث قاتلا الإنجليز في سيحان.ومع ما ذكره (الصانع، العلي، 1985) من إكرام أهل الزبير للفارين والجرحى من الجيش العثماني.

ويكمل (الحميدان، 2019، ص188) السرد المبهم؛ فيصف علاقة آخر شيوخ الزبير بالبريطانيين، بأنها علاقة ولاء، ورضا، ثم يجبر على التنازل من قبل الإنجليز.كما يزيد الإبهام عندما يقول: «في أي حال...فقد واجه الشيخ إبراهيم معارضة شديدة من جماعات في الزبير فهاجمته شخصيا، وهاجمت سياسته المستبدة، حتى وصفوه بأنه شخص عادي، ولذا حاولوا إقناع البريطانيين بأن كيانه المحلي المستقل يجب ألا يلغى، وبدلا من ذلك يجب إعادة المشيخة لآل مشري...».

أما الإشكال هنا فهو: أن (الحميدان، 2019) لا يضع مصدراً لهذه المعلومة المهمة، حتى نستطيع أن نحاكمه عليها، كما أنه في ذات الصفحة يصور قوة علاقة الشيخ إبراهيم الراشد بالبريطانيين، لدرجة أن البريطانيين أرسلوا جيشا وطائرات لنصرته بحسب زعمه، وفي الفقرة التي تليها يصف بيرسي كوكس بأنه صديق لشيخ الزبير، لكن كوكس لا يستجيب لصديقه في مسألة الاستقلال، دون أن يوضح لنا الحميدان سبب الرفض، كما أنه

يكـرر ذات الأمـر فـي عـدم وضـع مصـدر معلومتـه، ويضيـف (الحميـدان، 2019، ص187) كذلـك خـلال تحليلـه أن مـن أسـباب سـقوط المشـيخة «...أن إبراهيـم العبـدالله الراشـد شـيخ الزبيـر كان مـن المعارضيـن أيضـا للحركـة الانفصاليـة فـي البصـرة، وهـذا مـا عرّضـه لسـخط أحمـد باشـا الصانـع -متصـرف البصـرة- وغضبـه خصوصـا بعـد سـعي الشـيخ إبراهيـم الراشـد للاسـتقلال بالزبيـر...» وفـي هـذه الصفحـة مـن كتـاب الحميـدان لا نجـد مصـدرا لمعلومتـه كذلـك.

يبـدو أن الحميـدان ينقـل عـن فسـر Visser دون الرجـوع لمصـادر فسـر Visser فـي الأرشـيف البريطانـي أو الإحالـة إليـه، إذ يقـول (فسـر، 2008 ،Visser، ص238) : « وتمامـا مثـل انفصالـي البصـرة واجـه إبراهيـم عرائـض مضـادة، ..وقـف عـدد مـن تجـار كبـار، ومـلاك أراض ضـد إبراهيـم ومطاليبـه فـي اسـتقلال أكبـر، والعوائـل الموالية لحرمـة ضـد مهاجـري الحريملـة [حريمـلاء] كانـت تشـكل عنصـرا واحـدا مـن التحالـف الـذي تحـدى الشـيخ الـذي نصـب نفسـه...ركز بعـض خصومـه علـى سـوء حكـم إبراهيـم واسـتبداده وشـخصيته؛ إذ وصفـه بعضهـم بأنـه: شـخص عـادي».

نلاحـظ هنـا أن الحميـدان ينقـل أفـكار فسـر Visser دون الإشـارة إليـه مـع بعـض الإضافـات، ولا نـدري هـل رجـع الحميـدان لمصـادر أخـرى ذكـرت ذات المعلومـات ونسـي أن يشـير إليهـا، أم أنـه نقـل عـن فسـر Visser ونسـي كذلـك أن يشـير إليـه رغـم أن الأمـر تكـرر.

2.2 الصراع بين حنابلة نجد وحنابلة الزبير

لقـد كانـت الهجـرة للزبيـر متعـددة الأسـباب، لكـن أحـد أهـم هـذه الأسـباب هـو الخـلاف الدينـي بيـن الشـيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب ومناصريـه وبيـن علمـاء ذلـك الزمـان الذيـن عارضـوا مـا جـاء بـه الشـيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب ورفضـوا قبولـه، ومـن أبـرز هـؤلاء العلمـاء الشـيخين محمـد بـن فيـروز والشـيخ سـليمان بـن سـحيم وتلاميذهـم مـن بعدهـم الذيـن لـم يكونـوا مهادنيـن لهـذه الأفـكار، وحاربوهـا بأقلامهـم.

هنـا يجـب التنبيـه علـى أن هـذا المقـال لا يعنـي بتاتـا بترجيـح فكـر علـى فكـر؛ لكنـه يهتـم بتبيـان الأسـباب التاريخيـة لهجـرة العلمـاء، ونشـأة البيئـة العلميـة الجديـدة فـي الزبيـر، وتجاهـل مـن كتـب عـن الزبيـر لهـذه الأسـباب.

وعلـى سـبيل المثـال فـإن (الحميـدان، 2019) و (أبـا حسـين، 2009)، وكذلـك مؤلفـا كتـاب إمـارة الزبيـر بيـن هجرتيـن (الصانـع، العلي، 1985) يشـتركون في ذات الإشـكال عند الحديث عن علمـاء الزبيـر، خصوصـا الأوائـل منهم مثـل: محمد بن فيـروز ومحمد بن سـلوم وإبراهيم بن جديد وغيرهـم، إذ يتجـاوزون الأسـباب الرئيسـية للخلاف الفكـري، والديني، والمذهبي بين الشـيخ محمد بـن عبدالوهـاب والشـيخ محمـد بـن فيـروز وتلامذتـه مـن بعـد، إذ أن (الحميـدان، 2019، ص54)

أشار على استحياء خلال ذكره لأسباب الهجرة وذلك حين قال: « اصطدم قادة الدرعية أثناء توسع نفوذهم في نجد بالكثير من زعامات المدن والقرى التي رفضت الخضوع سياسيا لسلطتهم، ولدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية، على الرغم من كونهم حنابلة المذهب جميعا...جلاء إبراهيم بن ناصر ابن جديد من حرمة ومحمد بن علي بن سلوم الوهبي من قرية العطار في سدير...أما الذين جلوا عن الأحساء بعد التهديد السعودي لهم فأبرزهم الشيخ محمد بن عبدالله بن فيروز...وأخيرا عثمان بن سند الوائلي المالكي من الزبارة»، ثم يضيف (الحميدان، 2019) أن هؤلاء العلماء الذين اجتمعوا في الزبير والبصرة ويسميهم «القيادات الدينية» أوجدوا مدرسة فقهية حنبلية تتسم بالاعتدال، وذكر بعد ذلك أن احتضان العثمانيين، وشيوخ المنتفق لهم كما ذكر أن هذه القيادات الدينية ألفت بعض الكتب، والوريقات لمعارضة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ويمر الحميدان مرور الكرام على هذا الجلاء، وكأنه حدث هامشي في نشأة مشيخة الزبير، دون الوقوف على أسباب هذا الخلاف المذهبي كما وصفه، ولماذا تركت هذه القيادات الدينية وطنها وهاجرت للزبير؟

وقد يقول قائل بأن هذا الأمر قد فات (الحميدان، 2019)، ولم ينتبه له، لكن في حقيقة الأمر نجد في الكتاب يذكر بأن الشيخ محمد بن فيروز وغيره قد سعوا لدى باشا بغداد وحرضوه على ضرورة العمل ضد السعوديين، بل تمت تزكية اسم الشيخ ثويني بن عبد الله شيخ المنتفق لهذه المهمة.

وهنا يقودنا التساؤل هل يحاول الحميدان عدم الخوض في هذا الصراع الفكري لأسباب سياسية واجتماعية في يومنا الحالي، أم أن هناك غير هذه الأسباب؟ فليته وضح ذلك تلميحا، أو تصريحا، حتى يكون له العذر عند من يقرأ الكتاب، خصوصا وأنه وصف المدرسة الحنبلية التي نشأت في الزبير بالمعتدلة - كما أشرنا سابقا- فهل كان يقصد أن المدرسة الأخرى متشددة؟ وما الذي يدفع هؤلاء العلماء المهاجرين إلى بذل الأسباب لإسقاط الكيان السياسي الجديد في نجد؟

نجد الأمر ذاته يكرره (أبا حسين، 2009) حين يتحدث عن علماء الزبير بل إن أبا حسين كان أرق من الحميدان، فلم يذكر أسباب هجرة بعض علماء الزبير مثل: الشيخ محمد بن سلوم ولا ذكر حتى أن للشيخ بعض الردود على علماء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولم يشر إطلاقا لأسباب الهجرة من نجد، وكذلك فعل مع الشيخ إبراهيم بن جديد وغيرهم، وكأن أسباب وجودهم في الزبير، أو ولادتهم فيها كان أمرا طبيعيا.

أما مؤلفا كتاب إمارة الزبير بين هجرتين (الصانع، العلي، 1985) فرغم تخصيصهما جزءا كاملا للحياة العلمية والأدبية، والمساجد في الزبير؛ إلا أنهما كررا ذات الخطأ بالترجمة لعلماء الزبير دون الإشارة للخلافات المذهبية والفكرية مع دعوة الشيخ محمد

بـن عبدالوهاب.الوحيـد الـذي أشـار علـى استحياء للخـلاف بيـن الشـيخ سـليمان بـن سـحيم مـع دعـوة الشـيخ محمـد بـن عبدالوهـاب سـعود (الربيعـة، 2011، ص119) صاحـب كتـاب الحركـة العلميـة بيـن نجـد والزبيـر خـلال ثلاثـة قـرون حيـن نقـل عـن حسـين الشـيخ خزعـل قولـه: «... إلا أن الشـيخ سـليمان -عفـا الله عنـه- أظهـر العـداء للشـيخ ودعوتـه وكان بينهمـا رسـائل أوردهـا صاحـب حيـاة الشـيخ محمـد بـن عبدالوهـاب حسـين خلـف الشـيخ خزعـل...».

إن المتمعـن لتاريـخ الصـراع بيـن الشـيخ محمـد بـن عبـد الوهـاب، وأقرانـه، ومعارضيـه مـن أهـل القـرى والمـدن النجديـة؛ يجـد أن هـذا الصـراع لـم يكـن خلافـا فـي الـرأي، أو مجـرد طمـع سياسـي للدولـة السـعودية الأولـى؛ بـل كان أعمـق مـن ذلـك بكثيـر.ومـن هنـا تبـرز أهميـة هـذا الصـراع الدينـي العقائـدي الـذي وصـل فـي بعـض الأحيـان للتكفيـر، ولـذا مـن غيـر المعقـول تجـاوزه وكأنـه حـدث هامشـي، ومما يؤخـذ علـى مـن كتـب فـي تاريـخ الزبيـر خصوصـا الحميـدان والصانـع والعلـي، وأخيـرا أبـا حسـين تجاوزهـم لهـذا الأمـر، رغـم أن الكتـب النجديـة والكتـاب الذيـن يصنفـون علـى الدعـوة الوهابيـة؛ قـد ناقشـوا الأمـر باسـتفاضة، مثـل كتـاب عبـدالله (البسـام، 1419 هجـري) علمـاء نجـد خـلال ثمانيـة قـرون.

الشـيخان محمـد بـن فيـروز وسـليمان بـن سـحيم علـى سـبيل المثـال، وخصوصـا الشـيخ محمـد بـن فيـروز كان لـه الأثـر الكبيـر فـي تعليـم وتخريـج علمـاء الزبيـر الذيـن كان لهـم أدوار سياسـية واجتماعيـة فـي تاريـخ المشـيخة لا يتسـع هـذا النقـد لذكرهـا.فهـل كانـت هجرتهـم مـن نجـد والأحسـاء ووجودهـم فـي الزبيـر والبصـرة حدثـا هامشـيا غيـر مؤثـر تاريخيـا؟

يناقـش خالـد (الدخيـل، 2013، ص126) فكـرة امتـزاج التوحيـد الدينـي بالتوحيـد السياسـي فيقـول: «...ارتبـط قبـول دعـوة الشـيخ محمـد بـن عبدالوهـاب إلـى التوحيـد، وإخـلاص العبـادة لله وحـده بالانضمـام إلـى الدولـة والانخـراط فـي الوحـدة السياسـية التـي صـارت تمثلهـا الدولـة...».

وهنـاك بعـض الأمثلـة علـى مقتل علماء وطلبة علم خـلال محاربتهم لجيوش الدولة السـعودية، مثـل محمـد بـن عيـد الـذي قتـل خـلال محاصـرة عبدالعزيز بن محمـد لبلـدة ثرمداء في سـنة 1180 هجـري، (ابـن غنـام، 2010) ولـم تكـن هـذه المحاولـة الوحيـدة لقتـل مخالـف للشـيخ محمـد بـن عبدالوهـاب، فيذكـر (ابـن حميـد، 1996، ص973) صاحـب كتـاب السـحب الوابلـة فـي ترجمتـه للشـيخ محمـد بـن فيـروز: «...ونصبـوا له الحبائل] أي الشـيخ محمـد بن فيروز[حتـى بذلوا في قتله خمسـمائة أحمـر ذهبـا، فتسـور عليـه جماعـة مـن الأشـقياء ليـلا، وطلعوا إلى داره في سـلم فانكسـر بهـم، وتعطـل بعضهـم فحملـه الباقـون وهربـوا، فعدت هـذه مـن الكرامـات التـي لا تنكـر...». فهل محاولـة اغتيـال ابـن فيـروز كانـت مجـرد اجتهـاد مـن متعصـب؟ وكيـف يمكـن الحديـث عـن نشـأة مشـيخة الزبيـر، دون تحليـل أسـباب الخـلاف غيـر السياسـي الـذي وقـع فـي نجـد وعلـى رأس هـذه الخلافـات كان الخـلاف العلمـي الـذي وصـل لحـد التكفير.

تتجلى أهمية ذكر الخلاف بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والعلماء الذين هاجروا من نجد إلى الزبير، أو البصرة، في أن هؤلاء العلماء كان لهم أثر كبير في نشأة الحياة العلمية في الزبير خصوصا طلبة الشيخ محمد بن فيروز وهم كثر، ومن أبرزهم: محمد بن علي بن سلوم وإبراهيم بن جديد ومحمد بن حمد الهديبي وعبدالله بن داود وناصر ابن سليمان بن سحيم. (البسام، 1419 هجري)

ابن جديد الذي كان من تلاميذ الشيخ محمد بن فيروز، قال عنه (ابن حميد، 1996، ص75) في السحب الوابلة: «...نفع الله به أهل بلده، بل جميع تلك البلدان، ورغبهم وحثهم على العلم، فتسارعوا للأخذ عنه، ونجب منهم خلق كثير، خصوصاً في الفقه، وتنافسوا في تحصيل كتب المذهب، وتغالوا في أثمانها واستنساخها، وصار للعلم سوقٌ قائمة، وزهت البلد، وصار يرحل إليها لأخذ مذهب الإمام أحمد، وبنى بعض الموفقين مدرسة للطلبة الوافدين، وأنفق عليها جميع ما يملكه فصار مأوى المستفيدين».

لم يكن الأمر متعلقا فقط في زمن قيام الدولة السعودية الأولى، بل تجاوز أمر العداء بين الفرقتين إلى ما بعد ذلك، فيذكر (الغملاس، 2019، ص200) في مخطوطه الإعلام في أعيان بلد الزبير بن العوام في ترجمته للشيخ محمد الهديبي المتوفي سنة 1261 هجري أي بعد سقوط الدولة السعودية الأولى: «...أما تذكر حين أجازك شيخنا ابن فيروز، وأوصاك بوصية منها: احذر تصب بعارض من محن أهل العارض، أو محق أهل العارض...»، وكذلك قوله في ذات المخطوط في ترجمة الشيخ إبراهيم بن جديد: « ومما شاع في حلمه أن بعض أهل نجد هجاه، وكفره، وأطلق لسانه بالكلام الشنيع فيه، لكونه أنكر على ابن عبدالوهاب، والهاجي موافق لابن عبدالوهاب، فاتفق أنه افتقر، ونسي ما جرى، فسافر إلى بلد الزبير، والشيخ المترجم إذ ذاك عينها الباصرة، وكلمته مقبولة عند البادية والحاضرة، فعندما سمع بوصول الهاجي؛ أرسل إليه بكسوة، ودراهم وقال: «بمقابلة هديتك التي أهديت إلينا هذه السنة، وأرسل إلى الأمير ألا يتعرض أحد له بسوء، فعند ذلك خجل الرجل وصار يثني على ابن جديد ويمدحه.» (الغملاس، 2019، ص50)

ومن باب التدليل على شدة الخلاف بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ عبد الله بن مويس - قاضي حرمة – وكثير من أهل الزبير من أهل حرمة هاجروا منها بعد أن اسقطتهم جيوش الدولة السعودية الأولى 1193هجري (الفاخري، 1999) - وكذلك سليمان بن سحيم، إذ يتضح في رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشخصية، أن دعوته لقيت معارضة شديدة من بعض علماء نجد، من أبرزهم كان الشيخ ابن مويس والشيخ ابن سحيم -الذي هاجر واستقر أخيرا في الزبير- أما الشيخ ابن سحيم فقد كان يتصل بالعلماء خارج نجد، ويحرضهم على الشيخ ابن عبد الوهاب (العبداللطيف، 1989)، وقد وصل الأمر بين الشيخ ابن سحيم، وبين الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبارات شديدة منها ما ذكره

الشيخ ابن سحيم عن الشيخ ابن عبدالوهاب في رسالة له لعلماء المسلمين ما نصه: «... فالذي يحيط به علمكم، أنه قد خرج في قطرنا رجل مبتدع، جاهل، مضل، ضال...» (ابن غنام، 2010، ص344) وكان جواب الشيخ ابن عبدالوهاب عليه في بعض رسائله تحتوي ذات الحدة، إذ يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالته إلى عبدالله بن سحيم: «...فإن الذي راسلكم هو عدو الله ابن سحيم...». .. (ابن غنام، 2010، ص 389) بل وصل الأمر للتكفير، وإباحة الدم، إذ ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب خلال رسالته إلى الشيخ سليمان بن سحيم نفسه قوله: «...وأنت إلى الآن، أنت وأبوك لا تفهمون شهادة أن لا إله إلا الله، أنا أشهد بذلك...» (ابن غنام، 2010، ص 389)، أما فيما يتعلق بإهدار الدم، فيقول الشيخ ابن عبدالوهاب: «...بل والله الذي لا إله إلا هو، لو يعرف الناس الأمر علي وجهه؛ لأفتيت بحل دم ابن سحيم، وأمثاله، ووجوب قتلهم، كما أجمع على ذلك أهل العلم كلهم، لا أجد في نفسي حرجا من ذلك.» (الخليف، دون سنة نشر، ص409)

إن هذه الأمثلة السياسية، والفكرية، والدينية، لو تم تحليلها وتحرير مضامينها، مع الاطلاع على المخطوطات والوثائق المحلية والعثمانية وغيرها؛ لأمكن إخراج تاريخ مشيخة الزبير بصورة أكثر عمقا، إذ أن هذه الروابط الاجتماعية والسياسية والعرقية رغم وجودها لا تنفي الاختلافات التي حصلت حتى وصل بعضها لإراقة الدماء.

3. كتب الزبير ومعضلة الأحداث وتراجم الأسر وعدم ترابطها

إن المتتبع للكتب مجال النقد هنا، يجد أن بعضها كُتب بطريقة فيها نوع من الانتقائية، خصوصا كتاب تاريخ مشيخة الزبير النجدية من النشوء إلى السقوط، وكتاب إمارة الزبير بين هجرتين على الرغم من إسهامهما الكبير في تاريخ مشيخة الزبير الواضح، ويشترك هذين المصدرين في إشكالية عدم ترابط أفكار الكتاب Structure بالنسبة ل (الحميدان، 2019)، وكذلك الجزء الأول تحديدا من كتاب (الصانع، العلي، 1985). أما الإشكال الثاني: فهو الانتقائية في جانب آخر يتعلق في ذكر واختيار الأحداث، وتراجم الأسر دون وضع معايير محددة لهذا الاختيار؛ ليتسنى للقارئ الفهم، ويجد الناقد العذر.

أما فيما يتعلق بعدم ترابط الفصول فمن ينظر لفهارس الكتابين، يلاحظ ذلك بشكل واضح وجلي، ففي الجزء الأول من كتاب إمارة الزبير بين هجرتين نجد الصفحات الثمانين الأولى متسلسلة الأفكار نوعا ما، لكن بعدها يدخل المؤلفان في نسب أسرة الراشد، وتاريخها، وبعد ذلك ينتقلون في الحديث عن آخر شيوخ الزبير إبراهيم عبد الله الراشد، ومن بعده ابن أخيه سليمان، ثم عائلتي الفداغ والسميط، ويعود التسلسل السياسي نوعا ما من جديد بعد ذلك، ثم يعود ذات التشتت في صفحة 122 وما بعدها، فيكون الحديث عن معركة «هدية»، ثم قاسم باشا الزهير، وخلافه مع ناصر باشا السعدون، ولا يوجد

ترابط بين هاتين الفكرتين، فكلاهما وقع في فترة زمنية مختلفة، ويستمر الأمر طوال الكتاب، تارة تكون الأفكار مترابطة متماسكة، ثم تفرقها مواضيع صلتها ببعضها وبمن قبلها ضعيفة.

أما كتاب تاريخ مشيخة الزبير النجدية فعلى الرغم من ترابط أفكار أول خمسة فصول، وتسلسلها زمنيا في مسألة نشوء الزبير، ثم نجديو الزبير بين الشتات والصمود، ثم نجديو الزبير بين التكاتف والتصادم، فمشيخة الزبير من الارتقاء إلى التحدي، وأخيرا احتدام النزاعات في بلدة الزبير، ونجد الفصل السادس بعيد كل البعد عن هذا التسلسل الزمني، فقد كتب الحميدان أعلام الإدارة والإعمار في بلد ابن العوام، ثم عاد في ذات الفصل لأحداث البصرة والزبير قبل الحرب العالمية، وختم الفصل بقافلة الزبير 1896 ميلادي، وبدأ الفصل السابع بالدراجة السحرية، والحاكي الكرمافون، وختم الفصل السابع في التأريخ لبعض الأسر التي سنعود لفكرتها لاحقا، دون أن يبين لنا أو يربط القارئ كيف للفصلين السادس، والسابع، أن يكونا مكملين للفصول التي سبقتهم.

كلا الكتابين كان بالإمكان تعديلهما، وربط الأفكار فيهما، أو على الأقل تبيان سبب هذا التغيير، خصوصا وأن (الحميدان، 2019، ص17) ذكر في مقدمته: «إن المنهج التاريخي الذي انتهجته يقوم على متابعة الأحداث وفق مسار تاريخي والربط في ما بينها...»، ولعله من المناسب هنا ذكر أن كتاب الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي من أكثر الكتب التي صدرت عن مشيخة الزبير ترتيبا، وترابطا في المواضيع، وتسلسلا في الأفكار، على أنه كتاب سردي في مجمله ينقصه التحليل.

أما فيما يتعلق في انتقائية الأحداث، أذكر مثالا ذكره (الحميدان، 2019)، وعنونه بـ نقد رواية البسام بخصوص التنكيل بأهل حرمة، وابن بسام هنا المقصود به عبد الله البسام صاحب تحفة المشتاق ويذكر الحميدان النزاع الدموي بين حرمة، وحريملاء على السلطة في مشيخة الزبير، ثم يضع عنوانا جانبيا تنكيل عزيز آغا بأعيان حرمة وبعدها يعنون نقد رواية البسام بخصوص التنكيل بأهل حرمة.

يذكر (الحميدان، 2019، ص74) : « ينفرد المؤرخ عبد الله البسام بالقول بأن آل راشد وآل زهير، كانوا قد دفعوا لعزيز آغا أموالا طائلة، من أجل قتل جاسر السميط، والتنكيل بأصحابه من أهل حرمة.» والاعتراض الأول على هذا النقد: أن البسام لم ينفرد بهذا الخبر وحده، فقد سبقه بذلك (ابن بشر، نسخة ب، 1999، ص44) بحسب النسخة التي حققها الشثري إذ ينقل ما نصه: «...ثم ال راشد وال زهير أرادوا النقض فلم يقدروا إلا من جهة متسلم البصرة، فدبروا الحيلة في نقضه، وطلبوا من متسلم البصرة أن يقتل جاسر بن فوزان السميط وبذلوا على ذلك أموالا عظيمة...».

أما تاريخ (ابن بشر، نسخة أ، 1983، ص60) بتحقيق ال الشيخ الذي اعتمدنا عليه في هذا المقال، فيشير إلى الخبر بدون ذكر بذل الأموال: «...ثم إن ال زهير و ال راشد أرادوا النقض، فلم يقدروا عليه إلا من جهة متسلم البصرة، فدبروا الحيلة في نقضه، فأرسل المتسلم إلى جاسر بن فوزان السميط...»، ثم يكمل (الحميدان، 2019) نقده لرواية البسام بأن الأخير قد عاش بعد الحدث بقرن من الزمان، وأن قول البسام لا يستقيم مع قول قاضي البصرة أحمد نور الأنصاري القريب من الحدث زمانا، ومكانا، والذي حمل عزيز آغا المسؤولية كاملة، اذ وصفه بالممارس للفتنة، والطامح للحصول على أموال النجديين، وذكر الحميدان أمثلة لذلك معتمدا على الأنصاري.

أما بالنسبة لابتعاد البسام عن الحدث، لم يفسر لنا (الحميدان، 2019) ما هو رأيه في كلام (ابن بشر، نسخة أ، 1983، ص61) وهو النجدي المعاصر للأحداث زمانا على الأقل، فابن بشر في النسختين اللتين أشرنا لهما سابقا؛ يقر بتدبير آل زهير وآل راشد الحيلة، وإقناع متسلم البصرة بالقضاء على خصومهم، بل يزيد ابن بشر بعد ذكره لذهاب جاسر السميط إلى عزيز آغا «...وقد انحدر آل زهير وآل راشد إلى نخيلهم في البصرة وكمنوا فيها...فدخل جاسر وأعوانه على المتسلم، وقد جعل لهم كمينا من عسكره في سراياه، وأقبل آل زهير وآل راشد، وكمنوا في النخيل القريبة من السرايا...».

إن كلام (الحميدان، 2019) الذي ينقله عن الأنصاري بخصوص أن عزيز آغا صاحب هوى، ومريد فتنة، أهذا لا يعني أن أهل حريملاء لم يستغلوا ذلك مثلا لكسب معركتهم مع أهل حرمة؟ فعلى الرغم من تأكيد (ابن بشر، نسخة أ، 1983) على أن عزيز آغا بعد قتله لجاسر السميط أخذ أموالهم ونهب بيوتهم، لكن هل كان ذلك بدون رضا أهل حريملاء؟ ولماذا حاول (الحميدان، 2019) في هذه الجزئية إظهار عزيز آغا بأنه صاحب الشر المطلق في هذه الفتنة، وأن الأطراف الأخرى لم يكن لها اليد الطولى؟ رغم إقراره بأن الحادث كانت له أبعاد أثارت النعرات المناطقية في الزبير، من خلال مساندة آل زهير لآل راشد، في حين ساندت الأسر الأخرى من أهل حرمة، مثل آل الفداغ وآل العون وآل السميط؟ الحميدان قبل نقله لراوية البسام، وبعد ذكره لدور عزيز آغا ذاته في المصالحة، وأن هذا الدور كان لابتزاز أعيان الزبير جميعا، ثم يعود ويحاول التبرير لأهل حريملاء والعجب أنه ينقل عن البسام الذي سينتقد روايته، فيقول (الحميدان، 2019، ص74) مصورا أن ما تم بتدبيرٍ من عزيز آغا لوحده: « استدعى عزيز آغا – بعد أن قام بجريمته- رؤساء آل راشد و آل زهير وتحدث إليهم، وربما لتبرير ما قام به، لينتهي الحديث معهم ببقاء علي بن يوسف الزهير شيخا على بلدة الزبير كما كان من قبل.»، وفي هذا الاقتباس خلط (الحميدان، 2019) بين تحليله، وبين كلام البسام؛ إذ وضع في نهاية الجملة هامشا يحيل على البسام، وبعد الرجوع لكلام البسام في ذات الطبعة التي اعتمد عليها الحميدان، لا نجد

أبداً أن البسام قد ذكر أن عزيز آغا قد برر لأهل حريملاء ما قام به، إذ يقول (البسام، 2015، ص373) : «...وأحضر عزيز آغا رؤساء آل راشد وآل زهير، ورؤساء بلد الزبير، وتكلم معهم، وجعل رئاسة بلد الزبير لعلي بن يوسف الزهير، وصار لعلي بن يوسف الزهير في بلد الزبير صيت وشهرة.».

ويحاول (الحميدان، 2019، ص74) في هذا الجزء من كتابه تبيان أن عزيز آغا تابع لداود باشا فيقول: «...أن عزيز آغا يتربص بأعيان الزبير لابتزاز الأموال منهم، خاصة أن داود باشا سيده؛ يسره ذلك، وأن شيخ المنتفق الآن طوع أمره...»، وبعدها يتحدث عن عزيز آغا أنه قبض على الحاج سليمان الفداغ وأخيه عبدالله وأخذ منهما مئتي ألف لكن (الحميدان، 2019) يوجه الفكرة دون ذكر من خالفها، على الرغم من ذكره للخلافات بين حمود وعقيل السعدون.

إننا نجد (الصانع، العلي، 1985) في كتابهما إمارة الزبير حين تحدثا عن أسرة الفداغ، أن بعض أهل الزبير كاتبوا عقيل بن محمد بن ثامر السعدون، حتى يضم بلدتهم لحكمه، ورفعت مضبطة بهذا الخصوص إلى داود باشا، وكان من ضمن من وقع على العريضة، سليمان الفداغ وعبدالله الفداغ فأسند امر الزبير إلى الشيخ عقيل، وكان هذا سببا في «تألم» آل الزهير -حكام الزبير يومئذ- لأنهم لم تتم استشارتهم، وتواصلوا مع متسلم البصرة عزيز آغا الذي فرض الغرامة على الفداغ وخفضت إلى ثلاثين ألف قرش بعد تدخل شيخ الكويت الشيخ جابر بن صباح، ثم ذكروا الغرامة الثانية، وهي مئتي ألف قرش.، فلماذا لم يقارن الحميدان مثل هذه الأخبار، ويحللها، ويحاول إيصال القارئ لأقرب نقطة يستطيعها، بدلا من توجيه الفكرة وعدم ذكر من خالفها؟

تكمن النقطة الجوهرية الأخرى في هذا الجزء من النقد في الانتقائية في ذكر الأسر وتراجمها، دون توضيح السبب من وراء تحديد هذه الأسرة، أو تلك، وفي هذا الجزء سيكون التركيز على كتابين وذلك من أجل توضيح الفكرة وهما امارة الزبير بين هجرتين وتاريخ مشيخة الزبير النجدية.

نجد (الصانع، العلي، 1985، ص8) في كتابهما يشيران في المقدمة إلى «...أن يحتوي القسم الأول على...العوائل الأولى المؤسسة وحكم المشيخات...»، ونجد هذا موجودا فعلا عند حديثهما عن الهلال والمعيصب والجويسر والماضي، وفي ذات الجزء نجد الحديث، وترجمة بعض الأسر التي حكمت المشيخة، مثل الثاقب والزهير والراشد والعون والمشاري، وغيرهم ربما لأنها أسر حكم، لكن لم يبررا لنا مثلا لماذا تحدثوا عن الأسر الأخرى، خصوصا وأنهم في المقدمة قد ذكروا أن هناك جزءا خامسا يتحدث عن الأنساب والمشجرات العائلية. (الصانع، العلي، 1985)

لقد ترجم (الصانع، العلي، 1985) لاثنين وثمانين أسرة زبيرية، بمن فيهم الأربع أسر المؤسسة التي ذكرناها سابقا، لكن بعد التدقيق وقراءة تراجم هذه الأسر، لم نجد ترابطا بينها، ولم نجد كذلك أسباباً واضحة لذكرها دون غيرها، فقد تفاوتت هذه الأسر بين أسر حكمت، وأسر علمية، وأسر تجارية، وأسر تحترف الصناعة، فلماذا اختار المؤلفان هذي الأسر دون غيرها؟ وبما أنهم كتبوا عن أكثر من ثمانين أسرة، فلماذا لم يكملوا تراجم بقية الأسر الزبيريه؟

وسنأخذ مثالين فقط، حتى يتضح المقصد؛ الأسرة الأولى: هي أسرة العبلاني ولا تتجاوز الترجمة لهذه الأسرة الثلاثة سطور، فقد ذكروا نسبها، وأنهم قدموا من نجد من منطقة البير تحديدا ثم ذكروا فائدة للآلوسي، بينما حين ناقشوا أسرة الغربللي كتبوا عنها أكثر من ثلاث صفحات، ومعظم ما ذكر في هذه الصفحات، لا يتعلق بهجرة الأسرة للزبير.

فلماذا كان هذا التفاوت في التراجم؟ ولماذا أغفل المؤلفان بعض الأسر الأخرى في الزبير مثل: العامر الفواز أو التركي أو الصفران وغيرهم من الأسر؟ فلو وضح المؤلفان أسبابها، وبرروها مثل عدم وجود معلومات عن الأسر التي لم تذكر، أو ذكرنا من تواصل معهما وزودهما بوثائقه، خصوصا وأن الكثير من الأسر التي تمت الترجمة لها، ليس واضحا سبب ذكرهم سوى أنهم من سكان مشيخة الزبير.

وضع (الحميدان، 2019، ص194) من جهة أخرى في آخر فصول كتابه عنوانين ضميمة حول أصحاب البيوتات التجارية، وكذلك بيوتات الرئاسة والرتب العليا وهذا التخصيص بلا شك يحسب له، لكن لم يفسر الحميدان للقارئ لماذا استثنى بعض البيوتات التجارية؟ إذ أنه في مقدمة هذا الجزء من كتابه يقول: « تكشف لنا خلال استعراضنا لتاريخ الزبير أن أصحاب البيوتات التجارية، والرتب العالية من أهل نجد منذ النصف الثاني من القرن 13هجري/19ميلادي قد حققوا نجاحا بارزا في ميدان التجارة، ..كما حققوا بروزا أكثر في النصف الثاني من القرن نفسه، ليس بالمال فقط، بل في وظائف الدولة نفسها...إن من أبرز البيوتات المالية، والتجارية النجدية التي حصل بعض أفرادها على تلك الرتب».

وقد ذكر مجموعة من الأسر التجارية والتي بلا شك لها باع فيها، لكن بعضها لم يحصل على الرتب، والوظائف في الدولة، مثل: أسرة ابن رزق وأسرة الفريح بل إن لابن رزق أثره في الزبير، إذ لم يكن كبيرا، لكن يشمله الأمر، لأن أحداث الزبير والبصرة من الصعب فك ارتباطهما.

هذه الاختيارات تدفعنا للتساؤل؛ لماذا استثنى الحميدان بعض الأسر التجارية الأخرى مثل: العسافي، أو الراشد أو الإبراهيم العناقر؟ خصوصا وأنه أضاف بعض الأسماء التي نشرتها جريدة الزوراء لأسماء بعض كبار التجار، ولم يبين متى نشرت هذه الأسماء، هل في ذات الفترة الزمنية التي يتحدث عنها القرن التاسع عشر الميلادي. (الحميدان، 2019)

فعلى الرغم من أن الحميدان فكرته في ترجمة الأسر أكثر وضوحا من الصانع والعلي، إلا أن كلا الكتابين شاب تصنيفهما بعض الغموض المنهجي، خصوصا كتاب الصانع والعلي، وكما ذكرنا في مقدمة هذا الجزء التركيز على كتابي الصانع والعلي، والحميدان لا يعني خلو بقية الكتب من هذا الخلل، وإنما هذين الكتابين كانت فيهما الأمثلة أكثر وضوحا، كما ينبغي التأكيد على نقطة هامة هنا، وهي أن هذا المقال لا يُعنى بتصحيح الأحداث التاريخية، أو الوقوف بجانب طرف ضد طرف، لكنه يحاول تسليط الضوء على بعض النواقص التي وجدت فيمن كتب عن تاريخ الزبير، كما أن المقال لا يدعي حصر جميع الأحداث التي كتبها المؤلفون بنوع من الانتقائية، لكن ما ذكر في هذا الجزء يسهل أمر القياس والمقارنة.

الخاتمة:

إن تاريخ مشيخة الزبير النجدية، وعلاقتها بمحيطها الجغرافي، لا يزال فيه الكثير ليكتب.فمشيخة الزبير هي بلدة استقر فيها المهاجرون من نجد لأسباب مختلفة، وفي كل سبب من هذه الأسباب هناك أفكار كثيرة ليكتب عنها.

هذا النقد لا يعني التقليل مما كتب عن تاريخ مشيخة الزبير، فكل ما كُتب فيها كان فيه إسهام وإضافة، والكتب تكمل بعضها بعضا، وموضع النقد في هذا المقال منها تكرار السرد، وعدم التعمق في التحليل، وتجاوز مراحل مفصلية تبنى عليها التواريخ مثل تحليل أسباب السقوط كل ذلك يجعل التاريخ الزبيري في هامش الاهتمام.

ومن المفهوم حساسية الكتابة في التاريخ الحديث خصوصا ما يكون له صلة بالتاريخ الاجتماعي، أو السياسي، وبلا شك الديني، لكن في الوقت ذاته إذا لم يكتب المؤرخون المحليون عن تاريخهم، وينتقدونه ويوضحون مكامن الخلل، ويسدون النقص؛ فهم بذلك يتركون هذه المهمة للآخرين الذين قد يكون عمق فهمهم لتاريخ المنطقة أقل من أهلها. لقد كانت الكتابة التحليلية النقدية هي ما يحاول هذا المقال تسليط الضوء عليها، فنقد فكرة الكتاب، أو فعل العالم، وربما الحاكم هو نقد للفكرة والتاريخ، لا للأشخاص.

من الإشكاليات الموجودة في تاريخ مشيخة الزبير تحديدا، وتاريخ الخليج بشكل أعم وأوسع مشكلة الكتابة السردية.فهذا النمط من الكتابة شبيه بما كان يُكتب في القرون الماضية

على النظام الحولي، إلا أن الكتب اليوم تسرد الأحداث، وتضيف مصادرها ومراجعها، مع الابتعاد عن الغوص في النصوص، ومحاولة إعمال مشرط التحليل فيها.واليوم تطورت الكتابة التاريخية، وصارت لها منهجيات، ونظريات وفلسفة يستطيع الباحث المجد أن يستعين بها، كما أن النقد وثقافته صار لها انتشار في عقول الأكاديميين الخليجيين بشكل محدد، وكذلك المجتمع مع ظهور وثائق ومخطوطات كانت عصية على من سبقنا من الباحثين.

للتلخيص ناقش هذا البحث ما تمت كتابته عن تاريخ الزبير ومحاولة تبيان مواطن الخلل فيه مغ التركيز على نقد مراجع ومصادر التاريخ الزبيري الذي كتبه المهاجرون النجديون أنفسهم من حيث تهميش هذه الكتب لبعض الأحداث الرئيسية أو المرور عليها دون تحليل عميق. يوضح البحث أهمية هذه المشيخة النجدية ودورها في الأحداث السياسية والدينية والثقافية التي حصلت في شمال الجزيرة العربية ونجد فترة الدراسة.كما حاول البحث تبيان الخلل المنهجي الذي انتهجه بعض من كتب تاريخ الزبير مع التركيز على توضيح خلل طريقة كتابة بعض هذه المراجع وعدم ترابط عناوين الفصول والمواضيع فيها.

أخيرا هذا البحث يحاول أن يلفت انتباه الباحثين إلى أهمية التاريخ المهمش في الخليج والجزيرة العربية ويدعوا للالتفات بصورة أعمق لمثل هذه التواريخ.كما يحاول أن يساهم في تعميق التحليل التاريخي للروابط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بين المشيخات التي كانت قائمة في تلك الفترة.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن بشر، عثمان (١٩٩٩). عنوان المجد في تاريخ نجد (النسخة ب جزئين). (تحقيق محمد ناصر الشثري) . دار الحبيب.

ابن حميد، محمد بن عبد الله (١٩٩٦). السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة (ثلاثة أجزاء).)تحقيق بكر أبو زيد وعبد الله العثيمين) . مؤسسة الرسالة.

ابن غنام، حسين (٢٠١٠). تاريخ ابن غنام المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام (جزئين). (تحقيق سليمان بن صالح الخراشي) . دار الثلوثية للنشر والتوزيع.

الأعظمي، علي ظريف (١٩٢٧). مختصر تاريخ البصرة. مطبعة الفرات.

البسام، عبد الله. (١٤١٩هـ). علماء نجد خلال ثمانية قرون (ط2)(ستة أجزاء). دار العاصمة.

البسام، عبدالله (٢٠١٥). تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق. (تحقيق أحمد بن عبد العزيز بن محمد البسام) . دارة الملك عبد العزيز.

البسام، يوسف (١٩٧١). الزبير قبل خمسين عام مع نبذة تاريخية عن نجد والكويت. المطبعة العصرية.

ابن بشر، عثمان (١٩٨٣). عنوان المجد في تاريخ نجد (النسخة أ جزئين). (تحقيق عبدالرحمن ال الشيخ) . دارة الملك عبدالعزيز.

أبا حسين، علي (٢٠٠٩). لمحة من تاريخ مدينة الزبير تراجم ووثائق. مؤسسة فخراوي للدراسات والنشر.

الحميدان، عبد اللطيف (٢٠١٩). تاريخ مشيخة الزبير النجدية من النشوء إلى السقوط. جداول للنشر والترجمة والتوزيع.

الخالدي، إبراهيم (٢٠١٤). تاريخ وقائع الشهر في العراق وما جاوره. جداول للنشر والتوزيع.

الخليف، عبد الهادي (د.ت.). جهود علماء الدعوة السلفية في نجد في الرد على المخالفين.

الدخيل، خالد (٢٠١٣). الوهابية بين الشرك وتصدع القبيلة. الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

الربيعة، سعود بن عبد العزيز (٢٠١١). الحركة العلمية بين نجد والزبير خلال ثلاثة قرون قضاتها- علماؤها - شيوخها. الدار العربية للموسوعات.

الرومي، عدنان (١٩٩٩). علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون. مكتبة المنار.

السعدون، خالد حمود (٢٠٠٦). الأوضاع القبلية في ولاية البصرة. الدار العربية للموسوعات.

الشيخلي، محمد رؤوف السيد طه (١٩٧٢). تاريخ البصرة القديمة وضواحيها. مطبعة البصرة.

الصانع، عبد الرزاق. العلي، عبد العزيز (١٩٨٥). إمارة الزبير بين هجرتين ٩٧٩-١٣٤٢ (أربعة اجزاء).

العباسي، عبد القادر باش أعيان (١٩٦١). البصرة في أدوارها التاريخية. مطبعة دار البصرى.

عبد اللطيف، عبد العزيز (١٩٨٩). دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عرض ونقض. دار طيبة للنشر والتوزيع.

العجلي، معن (١٩٤٨). في البصرة. مطابع الاستقلال.

الغملاس، عبد الله (٢٠١٩). الإعلام في أعيان بلد الزبير بن العوام. مكتبة البابطين المركزية للشعر الشعبي.

الغملاس، عبد الله (٢٠٠٥). تاريخ الزبير والبصرة مع إشارات الى تاريخ الكويت والإحساء. (تحقيق عماد عبد السلام رؤوف). دار دجلة.

الفاخري، محمد بن عمر (١٩٩٩). تاريخ الفاخري. (تحقيق عبد الله بن يوسف الشبل). دارة الملك عبد العزيز.

فشر، ريدر (٢٠٠٨). البصرة وحلم الجمهورية العربية (ترجمة سعيد الغانمي). دار الجمل.

فيضي، سليمان (١٩٦٥). البصرة العظمى. مطابع دار التضامن.

الكرملي، انستاس. مجلة لغة العرب (١٨ مجلد).

الناصر، عبد العزيز (٢٠١٠). الزبير وصفحات مشرقة من تاريخها العلمي والثقافي. وهج الحياة للإعلام.

النبهاني، محمد خليفة (١٩٨٠). البصرة في التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية. منشورات مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة.

الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية: Romanization Arabic References:

ibna basharin ‘uthmāna 1999). ‘unwāna almajdi fī tārīkhi najdi al-nuskhata b juz’ayni (taḥqīqa muḥammada nāṣira al-shthry dāra alḥabybi

ibna ḥamīdin muḥammada bn ‘abdi al-lhi 1996). al-saḥba alwābilata ‘alā ḍarā’iḥi alḥanābilati thalāthata ’ajzā’i) taḥqīqa bikri ’abū zaydin wa‘abdi al-lhi al‘uthaymīni mu’assasata al-risālati

ibna ghannāmin ḥissayni 2010). tārīkha ibni ghannāmi almusammā rawḍata al’afkāri wa-al-’āfhāmi limurtādi ḥāli al’imāmi wata‘dādi ghazwāti dhawī al’islāmi juz’ayni (taḥqīqa salīmāni bn ṣālaḥa alkharāshiyya dāra al-thlwthyah lil-nashri wa-al-tawzī‘i

al’a‘ẓumiyyu ‘uliya ẓaryfu 1927). mukhtaṣara tārīkhi albaṣarati miṭba‘atu alfarrāti

albassāmu ‘abda al-lhi (51419). ‘ulamā’a najdi khilāla thamāniyati qurūni ṭ sittata ’ajzā’i dāra al‘āṣimati

albassāmu ‘abdāllta 2015). tuḥfata almushtāqi fī ’akhbāri najdin wa-al-ḥujjāzi wa-al-‘irāqi (taḥqīqun ’aḥamida bn ‘abdi al‘azīzi bn muḥammadu albassāmi dārata almaliki ‘abda al‘azīzi

albassāmu yūsf 1971). al-zyyr qabla khamsīna ‘āma ma‘a nabdhatin tārīkhiyyatin ‘an najdin wa-al-kū’ayti almiṭba‘atu al’aṣriyyatu

ibna basharin ‘uthmāna - ‘unwāna almajdi fī tārīkhi najdi al-nuskhata ’ juz’ayni (taḥqīqa ‘abdālraḥmani ali al-shaykhi dārata almaliki ‘abdāl‘azīzan

’abā ḥissayni ‘uliya 2009). lamḥatan min tārīkhi madīnati al-zubayri tarājima wawathā’iqa mu’assasatu fkhrā’ī lil-dirāsāti wa-al-nashri

alḥamīdāni ‘abda al-laṭīfi 2019). tārīkha mashyakhati al-zubayri al-najdiyyati mina al-nushū’i ’ilā al-suqūṭi jadawilu lil-nashri wa-al-tarjamati wa-al-tawzī‘i

alkhālidiyyu ’ibrāhym 2014). tārīkha waqā’i‘i al-shahri fī al‘irāqi wamā jawartu jadawilu lil-nashri wa-al-tawzī‘i

alkhalīfu ‘abda alhāddiyyi d t). juhūdu ‘ulamā’u al-da‘wati al-salafiyyati fī najdin fī al-raddi ‘alā almukhālifīna

al-dakhīlu khālida 2013). alwahhābiyyata bayna al-sharaki wataṣaddu‘i alqabīlati al-shabakatu al‘arabiyyatu lil-’bḥāthi wa-al-nashri

al-rabī‘atu su‘ūda bn ‘abdi al‘azīzi 2011). alḥarakata al‘ilmiyyata bayna najdin wa-al-zubayri khilāla thalāthati qurūni qaḍḍātihā- ‘lmā’hā- shuyūkhahā al-dāru al‘arabiyyatu lil-mawsū‘āti

al-rūmiyyu ‘adnāni 1999). ‘ulamā’a alkū’ayti wa’a‘lāamihā khilāla thalāthati qurūnin maktabatu almanāri

al-sa‘dūnu khālida ḥammūdi 2006). al’awḍā‘a alqibaliyyata fī walāayati albaṣarati al-dāru al‘arabiyyatu lil-mawsū‘āti

al-shykhly muḥammada raʾūfa al-sayyidi ṭh 1972). tārīkha albaṣarati alqadīmati waḍawāḥīhā miṭbaʿatu albaṣarati

al-ṣāniʿu ʿabda al-razzāqi alʿaliyyu ʿabda alʿazīzi 1975). ʾimārata al-zubayri bayna hajratayni 979-1342(ʾarbaʿata ajzāʾ

alʿabbāsiyyu ʿabda alqādiri bāshsha ʾʾyāni 1961). albaṣarata fī ʾadwārihā al-tārīkhiyyati miṭbaʿatu dāri albaṣriāi

ʿabdu al-laṭīfi ʿabda alʿazīzi 1989). daʿawā almunawiʾīna lidaʿwati al-shaykhi muḥammada bn ʿabdi alwahhābi ʿarḍun wanaqḍun dāru ṭībatin lil-nashri wa-al-tawzīʿi

alʿajaliyyu miʿna 1948). fī albaṣarati maṭābiʿu alistiqlāli

al-ghmlās ʿabda al-lhi 2019). alʾiʿlāama fī ʾʾyāni baladi al-zubayri bn alʿawwāmi maktabatu al-bābṭyn almarkaziyyata lil-shiʿri al-shaʿbiyyi

al-ghmlās ʿabda al-lhi 2005). tārīkha al-zubayri wa-al-baṣarati maʿa ʾishārātin alā tārīkha alkūʾayti wa-al-ʾiḥsāʾ (taḥqīqu ʿimādi ʿabdi al-sullāmi raʾūfa dāra dijlatan

alfākhiriyyu muḥammada bn ʿumari 1999). tārīkha alfākhiriyyi (taḥqīqu ʿabdi al-lhi bn yūsf al-shibla dārata almaliki ʿabda alʿazīzi

fasharrun rydr 2008). albaṣarata waḥulma aljumhūriyyati alʿarabiyyati tarjamata saʿīda alghānimiyyi dāra aljamali

fayḍiyyun salīmāni 1965). albaṣarata alʿuẓmā maṭābiʿu dāri al-taḍāmuni

alkarmaliyyu anstās majallatu lughata alʿarabi 18 mujallada

al-nāṣiru ʿabda alʿazīzi 2010). al-zubayra waṣafḥātin mushriqatin min tārīkhihā alʿilmiyyi wa-al-thaqāfiyyi wahaji alḥayāti lil-ʾiʿlāami

al-nabhāniyyu muḥammada khalīfati 1980). albaṣarata fī al-tuḥfati al-nabhāniyyata fī tārīkhi aljazīrati alʿarabiyyati manshūrātu markazi dirāsāti alkhalīji alʿarabiyyi jāmiʿata albaṣarati

The History of the Najdi Sheikhdom of Al-Zubayr between the Marginalization of Historians and the Selectivity of Authors: A Critical Reading

Abdulrahman Alebrahim (1)

Abstract:

The history of the Najdi Sheikhdom of al-Zubayr in southern Iraq is one of the neglected aspects in the modern history of the Gulf and the Arabian Peninsula. The rise of the First Saudi State and Wahhabism contributed mainly to the growth of al-Zubayr Sheikhdom and the formation of its political entity through the waves of migrations to it from Najd. These migrations were inclusive of all segments of the Najdi society. This article focuses on identifying the gaps in the current historical sources of Al-Zubayr. Specifically, the article critically examines the references and sources of al-Zubayr's history. Indeed, books on al Zubayr have marginalized several historical events and tackled these same events without an in-depth analysis despite the importance of the Najdi Sheikhdom and its role in the history of the Gulf and the Arabian Peninsula. The selectivity of events also has a share in this criticism, as the article attempts to show the inaccuracy with regard to the structure of the books of Al-Zubayr's history. Finally, the article attempts to raise researchers' awareness of the importance of marginalized history in the Gulf and the Arabian Peninsula and calls for deeper consideration of such histories. This will, in turn, contribute to deepening the historical analysis of the social, economic and political relations between the sheikhdoms that existed during the modern history of the Gulf.

Keywords: Najd, Kuwait, Al-Zubayr, Wahhabism, Gulf Studies.

(1) University of Exeter (Exeter - UK)
alibrahem_a@hotmail.com